



صياغة فقه إسلامي يساوي بين الجنسين: دراسة لفكرة "الولاية" في التراث النبوي

عائشة إس شودري

هل كان النبي رجلاً أبويًا متسلطاً جعل من أشكال التسلط الأبوي التي كانت سائدة خلال القرن السابع في شبه الجزيرة العربية أنماطاً مؤسسية؟ أم أنه كان أول النسويين الذي منح النساء حق اقتناء الأملاك والمشاركة السياسية، الذي لم تكتسبه النساء في الغرب إلا مؤخرًا؟ يقدم هذا البحث رؤية مركبة للنبي لا تجعل منه ذكوريًا سلطويًا بحتًا ولا نسويًا بحتًا. على العكس، كان النبي محمد رجلاً ينتمي إلى زمانه ومكانه- شبه الجزيرة العربية في القرن السابع- وهكذا فقد جسدت أفعاله بالضرورة افتراضات وسلوكيات أبوية عن الجندر. وفي الوقت ذاته فقد زعزع النبي محمد المفاهيم والممارسات الأبوية المتسلطة التي كانت سائدة في عصره بأن أعطى النساء الحقوق والحماية، وهي أمور تتسم بالتقدمية الكبيرة لو أننا أخذنا في الحسبان العصر الذي كان يعيش فيه.

تناقش عائشة إس شودري في هذا الفصل بعض الأحاديث النبوية التي تدور حول موضوع "الولاية"، وكذلك المعنية بموضوع عقد النكاح. وتتناول الباحثة التحديات والفرص التي يطرحها كل من هذه الأحاديث أمام النسويات المسلمات اللاتي يسعين إلى إبراز الأمثلة التي ضربها النبي في تأسيس رؤية مساواتية للزواج. وتسعى شودري بصفة خاصة إلى إلقاء الضوء على رسائل وأفعال ترد لنا من السنة النبوية تتعارض مع النزعة الأبوية وتعكس الاهتمام بالنساء بوصفهن كاملات إنسانية.

وتقوم شودري بدراسة نوعين من الأحاديث النبوية يدوران حول فكرة "الولاية"، حيث تبدأ بدراسة عدة أحاديث تتناول الحاجة- أو عدم الحاجة- إلى الحصول على إقرار شفاهي من المرأة بالموافقة على الزواج. أما الجزء الثاني من الدراسة فتناقش فيه الباحثة الأحاديث النبوية التي تتناول فكرة "الولاية" في الزواج وموضوع تعدد الزوجات.

وتوضح شودري أن تلك الأحاديث تقر منظومة العلاقات المبنية على التراتبية بين الجنسين في مجال الأسرة، بل تبدو كأنها تتقبلها من جهة، ولكنها على الجانب الآخر تدعم بوضوح فهمًا يؤكد حقوق النساء في الموافقة على زواجهن، وحققن في الحصول على الحماية الكاملة من سوء المعاملة من قبل أوليائهن (وبخاصة النساء في مواقع الضعف مثل اليتامى). وترى شودري تلك الممارسات المزعجة للامتيازات والتوقعات الأبوية بوصفها دلائل على اللحظات التي كان النبي فيها يفتح الطريق نحو خلق إطار مساواتي لأدوار الجندر داخل الأسرة.

وتختتم شودري مقالها بقولها إنه يمكن للنسويات المسلمات، في سعيهن إلى الحصول على حقوق عادلة ومساواتية في إطار إسلامي، أن يستفدن من هذه اللحظات التي حدثت فيها زعزعة للسلطة الأبوية وبينين عليها. ولكن على النسويات المسلمات أن يستخدمن مقاربات منهجية متزنة وحصيفة في سعيهن هذا، بحيث لا يرفضن التراث يرمته بوصفه متشربًا بالأبوية بصورة تستعصي على الإصلاح، وكذلك ألا يحتقن بالتراث بوصفه تجسيدًا لقيم ومبادئ نسوية. كما تذهب شودري إلى أنه ينبغي أن يكون الإطار

التفسيري النسوي إطارًا قويًا ومركبًا، وأن ينطوي على إعادة قراءة وفهم التراث النبوي، إلى جانب قراءات جديدة وخلاقة للقرآن والفقہ.

يشكل التراث النبوي مصدرًا ثريًا لسرديات تمكّن المسلمات والمسلمين من إعادة النظر في الفقہ الإسلامي وإصلاحه حتى يصبح أكثر مساواتية في مجال الجندر. ولا يجب اعتبار البحث عن رؤية مساواتية في الإسلام مشروعًا 'نسائيًا'، وإنما ينبغي أن يتبناه المسلمون كافة، وبخاصة لو أرادوا أن يظل الإسلام دربًا مركزيًا يفضى إلى التحرر من كافة صور التمييز والظلم.